

رأي فرويد في مأساة "أوديب الملك"

اعتقد أن رأي أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) سليم إلا أن رأي عالم النفس المعروف فرويد، مغاير لهذا الرأي. ففي الفصل الخامس من كتابه "تفسير الأحلام" الذي صدر في عام ١٩٠٠ باللغة الألمانية والذي صدرت الطبعة الأولى منه باللغة العربية في ١٩٥٨ يعارض فرويد الرأي السائد بأن مأساة "أوديب الملك" هي من مأساويات القدر.

يرى عالم النفس المذكور أن مأساة أوديب ملكاً تهزّ اليوم معاصرنا مثلما هزّت من عاصرها من الإغريق. فلا تفسير لذلك إلا أنّ وقعها لا يقوم على ما بين القدر وإرادة الإنسان من التضاد، وإنما ينبغي علينا أن نلتمس سر هذا الواقع في طبيعة المادة التي تشخص بها هذا التضاد.. فما يحرّكنا مصيره إلا لأنه مصير قد كان يمكن أن يصير إليه، لأن النبوءة قد صبت علينا، ولما نولد، تلك الدعوة التي صبت عليه، فلقد قدر علينا أجمعين أن نتجه بأول نزوعنا الجنسي جهة الأم بأول البغضاء ورغبة الدمار جهة الأب. وأحلامنا تثقننا بأن الأمر كذلك" (٢١).

وذكر فرويد عبارة من نص مأساة سوفوكليس إذ تقول الملكة جوكاستا لابنها الملك أوديب محاولة التخفيف من ألمه: "والخير في أن يستسلم الإنسان للحظ ما استطاع، أما أنت فلا تخف من فكرة الاقتران بأملك، فكثير من الناس من ضاجعوا أمهاتهم في أحلامهم، ولكن يسهل عبء العيش لمن لم يلق إلى ذلك بالأ" (٢٢).

ولقد عبّر فرويد عن آرائه المذكورة في رسائله إلى أحد أصدقائه في عام ١٨٩٧، أي قبل صدور كتابه "تفسير الأحلام" بثلاث سنوات كما يشير جان ستاروبنسكي في كتابه "النقد والأدب" (٢٣) إذ يرى فرويد أن هذا الشعور تجاه الأم يظهر لدى الطفل عندما يبلغ الثانية أو الثانية والنصف من عمره. ويرى أنّ الأسطورة الإغريقية المذكورة عالجت غريزة، يعترف بها الناس كلهم، لأنهم احسّوا بها في قرارة أنفسهم وكلّ من رأى المأساة كان قد شذب في يوم من الأيام على عاطفة أوديب، أو أنّها اختلجت في خاطره وخياله، ولذلك يعتريه الجزع حين يرى هواجسه الخفية، تنتقل إلى حيز الواقع، ويتم تنفيذها.

ولكن النقد الأدبي يرفض فكرة فرويد، وهذا المسرحي توفيق الحكيم يرد عليه، ويفهم أنّ مأساة أوديب في بحثه عن الحقيقة، وفي خروجه عن النظام